النقد العراقي /إشكالية الإجراء وتنازع الاتجاهات

الكلمات المفتاحية :النقد العراقي ، إشكالية الاجراء ، تنازع الاتجاهات

ا٠م٠د٠ وسن عبد المنعم ياسين
جامعة ديالى / كلية التربية للعلم الإنسانية
www.Wsnalzubaidi@yahoo.com

الملخص

لقد خلقت تحولات المعرفة وتغيّرات المجتمع – عوامل مؤثرة وفاعلة في تحرّر النقد من تبعية الظاهرة الأدبية إلى إنتاج القوانين الداخلية لحركيتها، وقد رافقت هذه التحولات والتغيرات إشكاليات نظرية وإجرائية أدت إلى تنازع الاتجاهات في كيفية صياغة الهوية النقدية العراقية، وفي مقدمة هذه الإشكاليات: النظرية والمنهج والمصطلح.

يسعى هذا البحث إلى تحليل (الإشكالية والإجراءات)، بما في ذلك التداخل بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، والتحوّل من منهج إلى آخر أو التوفيق بينهما، وخاصة على مستوى تكييف المنهج وتوطين النظرية عبر قراءة تتبع المنهج الوصفي التحليلي للمنجز النقدي المفحوص بمجهر البحث.

المقدمة

كان النقد العربي ـ نظرية وتطبيقا، وكما تقتضي السياقات، تابعاً لحركة الإنتاج الأدبي، ومحكوماً بما تنطوي عليه من تغيّرات ناتجة عن تطور حركة المجتمع، وما تفرزه من تحولات في المزاج العام للذائقة الأدبية، ولكن مع قوانين تطور حركة النقد في العالم، تحرّر النقد من حاكمية هذه التبعية الأدبية، نتيجة التواصل الحاصل بعد الكولينيالية بحركة الترجمة وما تمخض عنهما من تحوّل معرفي عبر منهجي، حتى أصبح فاعلاً ومؤثراً في توجيه تطور حركة الظاهرة الأدبية، من خلال تقديمه اقتراحات جديدة وشيوع اصطلاحات ومناهج ونظريات لم تكن معروفة من قبل، فضلا عن ظهور اجتهادات محلية تحاول قدر الإمكان تطويع النظريات الحديثة لإعادة قراءة النص الإبداعي قراءات متعددة من زوايا ومنظورات مختلفة، غير التي دأبت عليها المناهج السائدة، وقد أدّى هذا التنازع إلى خلق إشكالية عميقة في جوهر

الفكر النقدي نفسه، ونشأت عنها مشكلات تتطلب تقديم مقترحات لحل جذري لهذا الاشتباك عبر المنهجي، فإذا ما عرفنا بأن: "الإشكالية هي النظرية التي لم تتوفر إمكانية صياغتها، فهي توتر ونزوع نحو النظرية، أي نحو الاستقرار الفكري" [١]، فهذا يقود إلى محاولة تفكيك العلائق التي خلقها هذا الاشتباك عبر المناهجي من حيث إن: "الإشكالية منظومة من العلاقات التي تنسجها داخل فكر معين، مشاكل عديدة مترابطة لا توفر إمكانية حلها منفردة"[٢]، ويصبح وفقا لذلك البحث عن حل هو الدخول في غابة من المجاهيل لأن: "الإشكالية لا تتحدد بما تم التصريح به، بل أيضا بما تتضمنه وتحتمله" [٣]، وهنا ينحرف النقد عن مساره المعهود بوصفه منطقة عمل وبحث داخل المناهج النقدية واصطلاحاتها باتجاه الحفر في منظومة الأفكار الفلسفية ذلك "أن الإشكالية ما لا تتحدد بما أنتجه هذا الفكر بل إن مجالها يتسع لجميع أنواع التفكير التي يقوم بها هذا الفكر"[٤]، ولتعليل فوضى إشكالية التنازع النقدي في المناهج النقدية، فقد قمنا بافتراضات نظرية لتصنيف الاتجاهات النقدية المطروحة على الساحة الأدبية العراقية، وهي ليست افتراضات نهائية لوجود تفرعات داخلها وفيما بينها، وهو الأمر الذي أدى بالباحث إلى النظر لذلك كله من منطلق وجود إشكالية ناجمة عن مجمل هذه التنازعات، والتي سنختار منها نماذج تطبيقية لتحليل بعض تشفيرات هذه الإشكالية التي تكتنفها.

- **الاتجاهات النقدية في العراق**

تطورت الحركة النقدية في العراق وازدهرت من خلال تشكيل رؤى جديدة تمتلك من مقومات الفكر النقدي، ما يجعلها أكثر تمثلا لأنساق المعرفة على اختلاف ألوانها وتنوع مقاصدها، والانفتاح على ثقافة الآخر المختلف التي يسرت وسائل الاتصال الحديثة انتشارها، تحت ميثاق التوالج الفكري والمعرفي بينهما، وعلى الرغم من إشكالية (المنهج والنظرية)، فقد ساعدت المثاقفة مع الآخر على تكييف النظرية النقدية مع البيئة الثقافية العراقية، وبغض النظر عن نجاح أو إخفاق كل تلك المحاولات في عملية التطويع وما رافقها من جدة أو خفة اعتمادا على القدرات الشخصية والخبرة المعرفية لمن يتصدون للجهد النقدي، وهي قدرات تختلف بالتأكيد انطلاقا من كون أن الجهد النقدي لا يختلف عن مضامين الإبداع الأخرى التي

تتطلب أولا الاستعداد الفطري، ومن ثم الحفر المعرفي، واستنادا لكل ذلك يمكن تصنيف النقد العراقي الراهن بحسب تمثلات النقاد العراقيين للمناهج الحداثية وميولهم النقدية إلى أربعة اتجاهات:

***النقد الحداثي:** وفيه ينزع النقد نحو توظيف المناهج البنيوية و الشكلانية و السوسيولوجية المتاحة في تحليل الخطاب الأدبي بصيغ متوازنة بين النص والواقع، وذلك من خلال التركيز على الشكل وبنية الخطاب وموقعهما من رؤية الكون الإبداعي، وهو بحسب ألان تورين كان الهدف منه كما يظهر من مقدمة كتابه (نقد الحداثة)، "إعادة تعريف الحداثة كعلاقة يسودها التوتر بين العقل والذات، بين روح النهضة وروح الإصلاح، بين العلم والحرية، وهو موقف بعيد عن حداثية اليوم التي دخلت مرحلة الانهيار، وعن ما بعد الحداثية التي يجول شبحها في كل مكان"(٥)، ويندرج ضمن هذا الاتجاه (مع اختلاف وتباين الاشتغالات النقدية وخصوصية الوعي): فاضل ثامر، وحاتم الصكر، وعلي جعفر العلاق، ومحمد صابر عبيد، ومالك المطلبي، ومحسن جاسم الموسوي، وبشرى موسى صالح، وياسين النصير،...

* **النقد ما بعد الحداثي:** ينزع هذا الاتجاه في النقد نحو توظيف المناهج ما بعد البنيوية كالتفكيكية و النصانية و السيميائية في تحليل النص الأدبي بأدوات أكثر جدة وحداثة، وعلى وفق آليات اشتغال مختلفة، وهو تيار له امتداداته العميقة في الفلسفة "إذ يثبت هابرماس أن نقد تيار ما بعد الحداثة للحداثة الغربية ليس هو الأول من نوعه، بل سبقته خطابات عديدة حولها ترجع كلها إلى هيجل، إذ هو الذي قدم أول تشخيص فلسفي للحداثة، وتفرع عن هيجل اتجاه يساري يحاول تقديم تشخيص مختلف للحداثة انطلاقا من جوانب فلسفة هيجل، كما لا يعد النقد الكلي الشامل الذي وجهته هو الأول من نوعه، إذ إن نيتشه هو أول من بدأ هذا النوع من النقد الشامل ويرتبط مع تيار ما بعد الحداثة بأواصر عديدة، فهو المفكر الأساسي الذي به بدأ نقد ما بعد الحداثة"(٦)، ويندرج ضمن هذا الاتجاه: عباس عبد جاسم، وسعيد الغانمي، ورسول محمد رسول...

***الدراسات الثقافية:** وفيه ينزع النقد نحو توظيف الآليات المعرفية في دراسة الظاهرة الأدبية بأفق مفتوح على العلوم الإنسانية والطبيعية، "النقد الثقافي، بحسب الغذامي،

فرع من فروع النقد النصوصي العام، يعنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك بسواء، ومن حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي. وهو معنى لذلك بكشف لا الجمالي في النص كما شأن النقد الأدبي، وإنما همه كشف المخبوء تحت أقنعة البلاغي الجمالي، فكما أن لدينا نظريات في الجماليات فإن المطلوب إيجاد نظريات في القبحيات، لا بمعنى جماليات القبح، مما هو إعادة صياغة وتكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه،وإنما كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحس النقدي" [٧]، ويندرج ضمن هذا الاتجاه: عبد الله إبراهيم، وحيدر سعيد، وصادق الصكر...

* **النقد الأكاديمي:** نقد يمتاح من مناهج أكاديمية علمية في البحث والمعالجة فرضته الطبيعة المهنية للمشتغلين بهذا النوع بما لها من خصوصية تفرضها طبيعة المناخ ومتطلباته وأدواته العملية والعلمية، وبحسب د. سعد البازعي فإن كثيرا "من الدراسات سيجتها الأكاديمية، لكن من غير الصحيح أن النقد الأكاديمي بأكمله ظل معزولا عن الإبعاد الجمالية والفنية، هناك نقد أكاديمي وغير أكاديمي لم يلتفت إلى تلك الجوانب. لكن لا شك أن من النقد الأكاديمي من سيطرت عليه النظريات فانشغل بآليات النصوص أكثر من جمالياتها أو قيمتها، لكن منه من لم ينشغل، مع التسليم بأن الذي انشغل أكثر"[٨]، ويندرج ضمن هذا الاتجاه:محسن أطيمش وشجاع العاني وعبد ألآله أحمد وعلي عباس علوان...

في هذه الاتجاهات المذكورة آنفا تتعدد الرؤى والمواقف والمناهج، وتتباين فيها الانطباعات الذاتية والنظريات النقدية والمقاربات النصية بين النقد السياقي، والنقد النصي، من حيث تداخل العلوم الإنسانية مع العلوم الطبيعية، وسعة البنى المعرفية وتنوعها، فضلا عن تطور المنتج الأدبي واختلاف آلياته الفكرية والفنية، وقد تتخالف آليات الاشتغال في الاتجاه الواحد من حيث الرؤية والممارسة، وهو أمر تفرضه طبيعة الخطاب.

ويمكن أن نستنتج من جدليات حركية الفكر النقدي بأن هذه الاتجاهات ذات طبيعة نقدية دينامية متحركة من حيث تحولاتها المعرفية، وهي متحولة بينيا على

وفق تمظهرات الخطاب الإبداعي وما يرافقه من تحولات تفرضها طبيعة المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فقد تحوّل فاضل ثامر من المنهج الواقعي الاشتراكي إلى المنهج الشكلاني الروسي ومن ثم إلى المنهج التكويني، ومن ثم قام بالتوليف بين أكثر من منهج نقدي محاولا إضفاء سمة محلية تتجاوز منهجية النظريات النقدية الغربية الصارمة، وحاول حاتم الصكر بعد بداية تتسم بالانطباعية والانفتاح على الأثر النقدي الكلاسيكي العربي، الانفتاح على مقتربات منهجية مفتوحة، بعد أن اشتغل على المقاربات النقدية.

وتحوّل عباس عبد جاسم من آليات التأويل الأدبي في القراءة إلى آليات (عبر المناهجية) العابرة للتخصصات، وقد مهد إلى ذلك بـ (الخروج على سلطة النموذج)، وبذا فهو أكثر النقاد العراقيين تمثلاً لإشكالية نقد ما بعد الحداثة، وتحول جمال جاسم أمين من الحداثة إلى النقد الثقافي، وانتهج صادق الصكر " النقد الثقافي" في محاولة جديدة لتفكيك تناقضات الذات من خلال تفكيك مرجعيات النص الثاوية في الواقع اعتمادا على مرجعيات العلوم الإنسانية المقاربة كعلم الاجتماع وعلم النفس والانثربولوجيا وسواها.

ويشتغل رشيد هارون على " نقد النقد " بوعي أكاديمي جديد في تحليل المنجز النقدي لياسين النصير بآليات ميتا نقدية جديدة.

وعلى الرغم من تنازع الاتجاهات النقدية في الهوية النقدية العراقية بين الأنا والأخر، فإن الحركة النقدية تتجه نحو تكريس تغيرات الذائقة والوعي الناتجة عن قوة وتأثير تحولات العالم نفسه.

وفي هذا السياق لا يمكن لأي دارس تجاوز حالات الالتباس والتداخل بين المصطلحات والمناهج التي تتلبس الكثير من الجهود النقدية لبعض من ذكرنا من أسماء، وهي حالات لا تشير بالضرورة لإخفاق الناقد في انتقاء أداوته النقدية ومناهجه ومصطلحاته بقدر ما تشير إلى أزمة عامة مصدرها عدم وجود مرجعية واحدة لترجمة المصطلح والاتفاق على دلالته القارة لتعدد الألسن التي يتم النقل عنها، ولاجتهادات المترجمين أنفسهم وفقا لاختلاف ثقافاتهم المحلية، لذا فإن

التقسيمات المذكورة أعلاه هي تقسيمات عامة، وإن عملية الفرز والتدقيق المجهري تحتاج إلى جهد مؤسساتي يفك الاشتباكات والاختلاطات المنهجية والاصطلاحية التي تفاقمت بسبب ما يمكن تسميته (مجانية النقد)، التي أفرزها سعة منافذ وسائل الاتصال الحديث والنشر الالكتروني وسهولتهما.

أصبحت الدراسات النقدية العربية ــ عامة ــ والنقدية العراقية ــ خاصة ــ تعنى بشكل كبير في معاينتها للنص الشعري والسردي والإبداع الأدبي عموما، باستدعاء المناهج الحداثية الغربية والنظريات المعاصرة، وفي ضوء تنوع المناهج وهذا الكم المعرفي الهائل والانفتاح على الآخر، أدى إلى إثارة إشكاليات كبرى عصفت بالخطاب النقدي كما ذكرنا طرفا منها في سياقنا السابق.

- **جدلية الصراع بين التراث والحداثة**

لعل من أهم تلك الإشكاليات جدلية الصراع المحتدم بين التراث والحداثة، ما بين متمسك بموروثه مستريب من ثقافة الوافد منغلق على نفسه، وآخر ينفتح على ثقافة الغرب سواء في ميدان التنظير أو التطبيق من دون غربلة وتدقيق، وهنا تبرز أولى الإشكاليات حدة:

١. التهافت على النظريات النقدية الغربية ومناهجها بنهم زائد واستقطابها من دون تروٍ وتمحيص ومن ثم توطينها في غير حاضنتها الرئيسة، لمجرد أن يحظى أصحابها بالفرادة والتميز، مما جعلها تفقد النص الإبداعي هويته الأصلية وتجعل تأويله يقترب أحيانا من التمحل وتؤدي به إلى هوة سحيقة.
٢. ما يتطلب الإفادة من النظريات النقدية الغربية ومناهج الحداثة في ضوء مواءمتها للموروث العربي والأخذ بالخصوصية اللغوية وما يحايثها من صياغات ومبان ودلالات تتمتع بميزات حصرية، أعني الاعتدال في الانفتاح على الآخر مع الاحتفاظ بالهوية والانتماء.

ولم تكن تلك الآراء بمنأى عن وعي النقاد العرب، فهم يدركون بأنّ مختلف: "الاتجاهات في نقدنا العربي الحديث والمعاصر ـ عامة ـ هي أصداء لتيارات نقدية أوربية، وبالتالي فهي أصداء كذلك لما وراء هذه التيارات من مفاهيم ابستمولوجية وايدلوجيات"(٩).

ويعترف عبد العزيز حمودة بأنه: "ظلّ لسنوات يقف أمام أعمال النقاد الحداثيين بانبهار شديد (...) ولكن ذلك الانبهار خالطه طوال الوقت شعور عميق ــ لم أفصح عنه حتى اليوم ــ بالعجز: العجز عن التعامل مع هذه الدراسات البنيوية وفهم أهدافها، بل فهم وظيفة النقد ذاته في ظل المصطلحات النقدية المترجمة والمنقولة والمتحولة والمحرّفة . التي أغرقونا فيها لسنوات" [١٠]، ما يلفت نظرنا إلى هذه المقولة هو أننا قد تجاوزنا إشكالية البنيوية الآن، وما رافقها حينها من صراعات وسجالات نتجت عن سوء فهم المصطلحات وسوء استخداماتها، فقد تطورت إلى إشكاليات جديدة مركبة، ولا سيما في طروحات نقاد ما بعد الحداثة التي لا يتسع مجال البحث لمناقشتها بالتفصيل، لذلك سنقوم من خلال محاور البحث بالتركيز على ناقدين عراقيين ممن اجتهدوا في تطوير الخطاب النقدي العراقي فكانا أكثر إشكالية في طروحاتهما النقدية لما بعد الحداثة، هما الناقد عباس عبد جاسم والناقد صادق ناصر الصكر.

- **إشكالية الإجراء النقدي**

إنّ مصطلح (إشكالية)، مأخوذ من (أشكل) وهو الفعل الأساسي الذي حامت حوله سائر المشتقات، وهذا الفعل في العربية هو غير متعد إذ نقول (أشكل الأمر)، إذا التبس بعضه ببعض ومنه (المشكل) الذي: "يأتيه الإشكال من غرابة لفظه أو من أن تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكر قائله على جهته، أو يكون الكلام في شيء غير محدود أو يكون وجيزا في نفسه غير مبسوط، أو أن تكون ألفاظه مشركة" [١١]، فالمشكل هو الكلام الذي يحتمل التأويل بأكثر من دلالة، وفي هذا السياق يندرج كتاب ابن قتيبة الذي عنوانه (تأويل مشكل القرآن) ومن هذه المادة اشتق العرب لفظة (الإشكالية)، وهي على صيغة المصدر الصناعي لترجمة مفهوم حديث وافد إلينا من الثقافة الإنسانية ودلالته أن قضية من القضايا قد تعقدت وامتدت سبل تأويلها بحيث فارقت مستوى الشرح والتفسير وانخرطت في خانة التأويل.

- **إشكاليات المصطلحات والمفاهيم**

شُـغِل عبـاس عبـد جاسـم بـالتنظير النقـدي، وشُـغِف بنظريـات الحداثـة والحداثـة البعديـة، واتجـه نزوعـه نحـو الاخـتلاف مـع السـائد، وذلـك بزحزحـة البنيـات القائمـة بقـوانين عمـل جديـدة، وحيـوات متجـددة، وهـو بهـذا يمهـد لأدلجـة فكريـة فـي ضـوء مفهومـه النقـدي الـذي هـو صـدى للنظريـات والمفـاهيم النقديـة الغربيـة ومدارسـها، ممـا انسـحب نتيجـة ذلـك علـى مخرجـات المصـطلحات ومـن ثـم تطبيقهـا علـى المـتن العربـي، فبدأت من هنا الإشكاليات.

- **إشكالية المصطلح**

إنّ أيـة دراسـة لا بـد لهـا مـن أنْ تـركن إلـى تحديـد المصـطلحات ومفاهيمهـا ومـن ثـم بيـان تطبيقهـا، وذلـك لأهميـة المصـطلح فـي تحصـيل العلـوم، وبـه يتحـدد قصـد الباحـث، قـال التهـانوي:"إنّ أكثـر مـا يحتـاج بـه فـي العلـوم المدونـة والفنـون المروجـة إلـى الأسـاتذة هـو اشـتباه الاصـطلاح، فـإن لكـل علـم اصـطلاحا بـه إذا لـم يعلـم بـذلك لا يتيسـر للشـارع فيـه علـى الاهتـداء سـبيلا ولا إلـى فهمـه دلـيلا"[١٢]، وإنْ كـان مـن يعـالج مواضـيع العلـم مـن خـلال معجمـه الاصـطلاحي مـن دون ارتبـاط حقيقـي بمقـولات العلـم وخباياه، تنزرع إشكاليات متعددة، تتسع دوائرها فتستحيل مولدا للالتباس الفكري [١٣].

أهـم فرضـية يضـعها الناقـد عبـاس عبـد جاسـم فـي الكتابـة النقديـة، أن المصـطلح لـيس أحـادي المفهـوم، والمفهـوم لـيس أحـادي المعنـى، والمعنـى لـيس أحـادي الـدال، وأن الدال يتعدى المدلول.

فـي المقدمـة التـي وضـعها لكتابـه الأول " قضـايا القصـة العراقيـة المعاصـرة " أشـكل طريقتـه النقديـة بالحمولـة الفلسـفية، فقـد اسـتخدم مصـطلح (اسـتقراء) أو (طريقـة الاسـتقراء)، وهـو مصـطلح يسـتدعي إلـى ذهـن القـارئ (مـنهج الاسـتقراء) عنـد فرنسـيس بيكـون، ومـن أدوات هـذا المـنهج: الملاحظـة والمعاينـة والتجربـة، وتلـك إشـكالية قائمـة علـى التشـاكل بـين النقـد بوصـفه رؤيـة معرفيـة والاسـتقراء بوصـفه طريقـة علميـة تجريبية.

فما طبيعة هذه الإشكالية: أهي إشكالية نقدية أم إشكالية معرفية أم إشكالية معرفية نقدية مركبة؟ هل كان عباس عبد جاسم يسبق الظاهرة الأدبية قبل ولادتها؟

وهنا نستشعر خطورة المهمة التي على عاتقنا في محاولة رصد رؤيته النقدية، إنه ناقد ذو رؤية حداثية استشرافية، جعلته يتلقف شفرات الحداثة في وقت مبكر، ومن ثم يتمثلها في كتاباته، ربما قبل أن تدخل الفضاء التداولي في الكتابة، ومن تلك الشفرات:

(الواقعية الافتراضية ــ ما فوق الواقعية (السرفكشن) ــ الشيئية والشيئنة ــ الانقلاب على دكتاتورية الراوي ــ الراسب التحتاني ــ الميتا سرد ــ اللحظة الحرجة ــ تفكيك الحبكة ــ جماليات اللامركزية ــ الانتصاص الأدبي ــ الكتابة الجديدةـ ــ الإحساس باللانهاية...)، وكلها مصطلحات لم يألفها المتن النقدي السائد ولم يتم الاتفاق البات على دلالالتها، مما عمق من مدى الإشكاليات والتساؤلات المطروحة آنفا حول المهمة الأساسية للنقد من مفسر للشفرات النصية إلى مولد لشفرات إضافية نقدية محمولة على متن النص نفسه.

وفي كتابه (جماليات الخروج على سلطة النموذج)، يؤسس لمفاهيم جديدة،منها مفهوم (الانتصاص)، الذي يتخذ من القصيدة بنية إطارية للنص، حيث تتزحزح فيه شعرية القصيدة بقوانين عمل جديدة، يسمح فيها (الشعر ـ– كتابة) بالخروج على دائرة التجنيس التقليدي لقصيدتي التفعيلة والنثر، وتسمح بطرح "مفهوم الكتابة من حيث هو بديل عن مفهوم القصيدة"[١٤]، وبداهة أن يؤدي التصادم السياقي الناتج عن جدل الأشكال وصراع الأجناس إلى الخروج على سلطة النموذج والتوجه بقوة الاختلاف معه في التأسيس لجماليات جديدة من الرؤية والمجاز والتخييل [١٥]، وهناك مفاهيم أخرى، منها: جماليات اللامركزية الشعرية، يقول الناقد في المقدمة التي مهّد بها لدراساته النقدية: " هذه مجموعة من الدراسات النقدية، حاولتُ فيها استقراء هموم وأفكار وتقنيات القصة العراقية المعاصرة، وذلك من خلال الاستعانة بطريقة الاستقراء، وهي طريقة تجريبية، تقوم على تحليل واستخلاص علاقة الخاص (الذاتي) بالعام (الموضوعي) وبالعكس "[١٦]، وقبل أن يتحّرر الناقد من هيمنة النزعة الفلسفية في صياغة رؤيته النقدية في كتابه (ما وراء السرد – ما وراء الرواية)، فقد

كان أكثر إشكالية معرفية في كتابه " مشكال التأويل العربي الإسلامي–أواليات التأويل وإدلالته المعرفية " حيث شبه (إشكالية التأويل) بـ " المشكال "الذي هو آلة تتألف من أنبوب زجاجي يحتوي على مرايا صقيلة وأشياء صغيرة ملونة، تتحرك داخل الأنبوب، تتولد منها صور مختلفة الألوان والإشكال، لدرجة يتحول اللون أو الشكل في اللحظة التي نسعى فيها لتثبيته إلى لون أو شكل آخر مغاير لذاته"[١٧]، وإن كنا إزاء مفهوم إشكالي في التأويل فما مفهومه لـ (لتأويل)؟

قبل الإجابة يمكن أن نلحظ بأن ثقافة الناقد عباس عبد جاسم تتجاوز (المنهج) بوصفه أداة أو طريقة أو رؤية للعالم، فهي تتخطى النص بآليات معرفية متحولة على نحو مثير لإشكالية تنطوي على مشكلات عدة، ناتجة عن تشاكل قائم بين الأدبي والأيديولوجي / المعرفي والعلمي / البنيوي و التفكيكي.

تشير المصطلحات (المشروحة) في الصفحة الأولى من كتابه المشكالي إلى: (الاواالية / الاوالة / الايالة / الايلولة / الابيستمي / قانون اللحظة / الفرضية / الفهم /...) هي مفاهيم ومصطلحات تفوق وعي القارئ، فضلا عن أنها مفاهيم مجترحة/، لم ترسخ بعد و في التقاليد النقدية المحلية وكأن الآليات المعرفية المتحوّلة لدى الناقد – موجَّهة للنخبة وليس للقارئ العام بكيفيات انبتت على زحزحة مفاهيم ونظريات ومصطلحات في ضوء ما يرى بأنها لم تعد تمتلك مقومات القوة والصمود والبقاء، فهي متجددة وفاعلة مع قوانين روح المعاصرة، لذا نراه يتجاوز الواقع بقوة التوجه نحو الاختلاف والمغايرة مع كل ما هو سائد ونمطي ومألوف، فكان لابد من فحص هذه الإشكالية من خلال الكيفية التي تمركزت بها، فقد شخص الناقد (مشكال التأويل الإشكالي) على النحو الآتي:

"باعتقادي – أولى الإشكاليات التي تتفرّع عن مشكال التأويل هو – اللا تحديد في التأويل، لأن اللا تحديد في التأويل يطبع الفهم ومحتوى ما هو مفهوم وسط مسافة متوترة بكيفيات مفهومية غير قابلة لاختزال أو تكثيف إستراتيجية (علم الدلالة)"[١٨]، يضعنا الناقد هنا مباشرة في منطقة يمكن تسميتها بمنطقة انعدام الوزن المنهجي، فكل الثيمات مفتوحة على اللانهاية وكل الحدود مشرعة على كل التأويلات، وفي هذا تجاوز على واحد من أساسيات المتن النقدي وغاياته ألا وهو

مفهوم المعيارية الذي تتحدد من خلاله (القيمة)، التي هي خلاصة ومآل النقد، غير أنه لا يلبث أن يقع في إشكالية أخرى حيث يقول و "تلك هي إشكالية سلطة التأويل، أي التأويل الذي يتحوّل إلى سلطة عائمة ما فوق سيادة الفهم، مما يؤدي إلى تعمية كينونة النص" [١٩]، لأن غياب أسس علمية لمفهوم التأويل يعد بحد ذاته تقويضا لمنطق التأويل نفسه، وأن غياب هذه الأسس يبهض من القيمة العلمية للنقد ويزيحه باتجاه الشطط السردي التعبيري وكما يذكر الناقد في مدخل هذه المقدمة: "إن إواليات التأويل المعرفية أشكلت مقولات التأويل المعاصرة من حيث الكيفيات في فهم: السببية والسياق، واللحظة التاريخية، لأسباب معرفية وسياسية"[٢٠]، ولم يكتفِ الناقد بتشخيص هذه (الإشكالية)، وإنما ذهب إلى أن هذه (الإشكالية) كانت نتاج هيمنة الفلسفة على التأويل:"كما تنازعت التأويل فهومات الفلسفة بفعل قوة هيمنة المنطق الأرسطي، فتراجعت مقولات التأويل العربي الإسلامي أمام تقدم مقولات الفلسفة، حتى انحرف الدين نحو طريق الفلسفة، لدرجة تحوّل الإيمان إلى مضمون فلسفي مفتوح للاجتهاد في تقليب وجوه البيان والعقل والتصوف والعرفان"[٢١]، تولد هذه الإشكالية التي عبر عنها الناقد حزمة من المشكلات التي تتخطى واجبات النقد وخط سيرورته لتمضي بعيدا في إشكاليات الأنظمة المعرفية عموما ومعضلات الأفكار ونقدها والسياقات التاريخية لها في مفهوم حرج، يتناول ثلاثية (الأفكار ــ الزمان ــ المكان)، وقد وحّدّ الجابري تلك المشكلات الفكرية مجموعة بما أسماه وحدة الإشكالية "وحدة الفكر في المنظور الذي نتحدث عنه لا تعني وحدة المفكرين _ وحدتهم القومية أو الدينية أو اللغوية _ ولا وحدة الموضوعات التي تناولوها ولا وحدة الزمان _ مكان الذي يؤخر هذا الفكر وإنما تعني وحدة الإشكالية"[٢٢].

وتوقف الناقد عند العناصر المعرفية الدخيلة التي أشكلت مفاهيم المعنى والتفسير والتأويل، وقد رأى بأن الدكتور نصر حامد أبو زيد في كتابه " فلسفة التأويل " أشكل التأويل، بعد أن وضع التأويل في درجة أو مرتبة معرفية أدنى من مقامه، بل والأكثر إشكالاً من ذلك، أنه ألحق التأويل بالتبعية الابستيمولوجية للفلسفة، ابتداء من مفتاح كتابه " فلسفة التأويل " حتى محتوى مضمونه. كما أشكل التفسير (التقوي) لإنباء الغيب والعجيب والساحر (التأويل) برمته، بحيث دفع بالتأويل إلى

طبقات أسطورية وتاريخية. فالفرضية التي انطلق منها الناقد عباس عبد جاسم إذا، في (مشكال التأويل الإشكالي) هي أن الفلسفة أشكلت التأويل العربي الإسلامي، فقام بإبطال مفعول مركزية الفلسفة؛ كما رأى الناقد على وفق " قانون تأثير اللحظة التأريخية ": إن الفلسفة " لم تكن وليدة حاجة عربية إسلامية، لهذا انوجد التعارض بين الجزئي والكلي، الطبيعة والروح، الحساسية وملكة الفهم، القلب بوصفه مركز عقل المؤمن، فصار الدين مضموناً للفلسفة بعد (توضيع objectivation) الدين وجعله موضوعة فلسفية، فتحول الدين إلى معرفة، ولكن حين تجاوزت الفلسفة اليونانية – الدين – دخلت به في متاهة مفتوحة "(٢٣).

كما تنبّه الناقد إلى أن جوهر إشكالية التأويل الناتجة عن التوفيق بين الدين والفلسفة؛ هي ازدواجية بين نظامين لا يتآلفان في وحدة تامة، وإنما ينقض احدهما الآخر؛ يقول الناقد: "جاء تأويل الفلاسفة المسلمين مستنداً إلى عقليتين إسلامية ويونانية، وتكمن هنا إشكالية برهان التأويل في تأويل نص عربي بأقيسة عقلية مقيدة بلغة يونانية ومنطق يوناني يمكن الاصطلاح عليه بـ " التأويل الهجين "، لكونه يجمع بين وعيين مختلفين، اتجهت فيه الفلسفة إلى تعويم التأويل العربي الإسلامي بـ " تأويل الفلسفة"(٢٤).

ونفهم من تحليل الناقد: أن الفلسفة لا تعدو كونها إحدى طرق المعرفة، لهذا لا يمكن أن تحيط بشمولية المشكلة التأويلية في الخطاب النقدي، هذا فضلاً عن التناقض القائم يبن مجريات التأويل ومجريات الفلسفة. ولعل أوّل من تنبّه إلى أن عباس عبد جاسم – (ناقد إشكالي) الدكتور فائز الشرع، في الكلمة التي كتبها في تعريف كتابه " ما وراء السرد / ما وراء الرواية " الذي تزامن صدوره مع كتابه " مشكال التأويل العربي الإسلامي " عام ٢٠٠٥، فقد جاء في كلمة الدكتور الشرع: "الكتابة بأفق مستقبلي هي أهم ما تتمركز حوله أطروحات القاص والروائي والناقد الإشكالي عباس عبد جاسم، وهذا ما جعله مبكراً في نمط من الدراسات لم تألفها النقدية العراقية، بل والنقدية العربية "، كما رأى الشرع: أن هذه الكتابة " تؤسس لنوع جديد في مجال السرد وما يلامس التجنيس الأدبي على نحو أشمل"(٢٥).

ويمكن أن نلحظ أيضاً بأن الناقد عباس عبد جاسم لم يعن بـ (منهج محدّد)، وإنما تجاوز المنهج باستخدام آليات (ما بعد المنهج)، وذلك بالاشتغال (عبر المناهجية)، وتلك في تصوري إشكالية جديدة من إشكاليات النقد الإشكالي، وقد مهّد كتابه " ما وراء السرد / ما وراء الرواية) لما بعد المنهج عبر سلسلة من الفرضيات والمفاهيم النقدية والمعرفية الجديدة، وفي مقدمتها:

Meta fiction وMeta narration ، وصراع التغايرات الإجناسية، ومقولات الكتابة الجديدة، وخاصة ما يتعلق منها بسمات: التشظي والتفكك والانتشار، فهي من سمات الحروب والأزمات والمجاعات والتحولات الكبرى في عصر العولمة.

لقد مهّدت هذه الآليات الاصطلاحية والمفهومية لأطروحة "النظرية النقدية العابرة للتخصصات" [٢٦]، من خلال الاشتغال على آليات المنظومة عبر المناهجية.

ويحق لنا أن نعد هذه الأطروحة أكثر استشكاليه في كيفية تقويض أسس المنهجية الأحادية بالأسس المناهجية التعددية، فقد يستنبط القارئ السمات التي اتسمت بها النظرية النقدية العابرة للتخصصات "من خلال تطور النقد العربي من النقد الأدبي إلى نقد النقد، ومن النقد الأحادي إلى النقد التعددي، ومن نقد النص أو النصوص إلى خطاب النظرية" [٢٧] فـ (النظرية النقدية العابرة للتخصصات) قائمة على "التحولات المعرفية الناتجة عن القطائع المعرفية والتحولات النقدية الناتجة عن الانفتاح على العلوم الإنسانية والطبيعية" [٢٨]، وخلافاً لتعدد المصطلحات والمفاهيم الأخرى، فقد وجد الناقد عباس عبد جاسم في مصطلح ومفهوم " العابرة للتخصصات " أهم التمثلات الاصطلاحية والمفهومية الآتية:

أولا- يتمثل (عبر المناهجية) التي تتغذى من المناهج بما يتعداها ويتجاوزها في آن.

ثانياً – تتمثل روح العصر الأكثر جدة في التداول النقدي.

ثالثاً – تتمثل تحولات النقد العربي وروح النظرية المعاصرة.

رابعاً – تتمثل تجليات النقد العابر للثقافات بحيوات متجددة.

خامساً – تتمثل نسيج المفاهيم المتجدّدة من العلوم الإنسانية والطبيعية المتعدّدة [٢٩].

وعلى مستوى الممارسة عبر المنهاجية لدى الناقد، يمكن إحالة المناهج المعرفية المتحولة إلى أربعة براديغمات–Paradigms نقدية، و(البراديغما) مصطلح استعمله عالم الاجتماع الفرنسي(آلان تورين) بوصفه نموذجا تفسيريا للنموذج الثقافي، فلفظة البراديغما جاءت بدلا عن الخطاب، وهي عنده الذات الثقافية الفاعلة، فهي إذن مفهوم جديد لفهم طبيعة التحولات التي طرأت على المجتمعات الإنسانية وبضمنها التحولات الثقافية والمعرفية.

أصبح مفهوم(البراديغما) يشير إلى قيم جديدة، واستعمله (توماس كون) في كتابه (بنية الثورات العلمية)، بمعنى النموذج أو المثال الدال على النظرية والثورة العلمية (٣٠).

وظف عباس عبد جاسم مصطلح (البراديغما) في ضوء مفهوم النموذج المتداخل للتخصصات، وكل براديغم منها مركب تركيب عبر مناهجيا خاصة به:

–التركيب المناهجي العلمي: ويتمثل لدى الدكتور محمد مفتاح بإنتاج نظرية نقدية شاملة، قائمة على توليف عدة نظريات ومفاهيم علمية ونقدية.

–التركيب المناهجي القرائي: ويتمثل لدى الدكتور عبد الملك مرتاض بإنتاج قراءة متعددة مركبة تركيبا سيميائيا أو تفكيكيا.

–التركيب المناهجي البنيوي: ويتمثل لدى كمال أبو دبب إنتاج منهج نقدي مركب تركيبا بنيويا سيميائيا لسانيا.

–التركيب البينمناهجي الاجتماعي: ويتمثل لدى الدكتور خالد علي ياس بإنتاج منهج نقدي مركب تركيبا رؤيويا سوسيولوجيا معرفيا ثقافيا.

وبقدر ما كان الناقد عباس عبد جاسم يؤسس لنظرية نقدية عابرة للتخصصات، كانت الإشكالية النقدية تنمو وتتشكل بصيغ محايثة لها، و"إن كان المنهج والمناهج كلها في أزمة، فإن ظهور نظرية جديدة تشكل استجابة مباشرة للأزمة، وخاصة أن دلالة الأزمات تعطي مؤشراً بأن المناسبة قد جاءت لتغيير الأدوات والمفاهيم والإجراءات، وإلاّ فما تعليل النزعة البنائية التوليدية التركيبية بين المناهج؟ وهل تجاوز النقد العربي التعريف بالمنهج باستخدام آليات المعرفة المتحولة أو العابرة للمناهج؟ وهل انتهت صلاحية المنهج الأحادي بظهور المناهجية التعددية؟

وإنْ كان المنهج والنظرية نتاج بيئة – فهل يمكن تبيئة المنهج وتوطين النظرية في حقل سوسيو ثقافي مغاير لموطنهما الأصلي؟ وهل " العابرة للتخصصات " أكثر تمثلاً لروح النظرية المعاصرة وتحولات النقد العربي العابر للثقافات"[٣١].

تلك هي أهم الأسئلة التي تعنى بالأجوبة عنها ضمناً في إشكالية النقد الإشكالي لدى الناقد عباس عبد جاسم، وفي تحليل لمجمل منظومة الأفكار التي يسبر في فضاءاتها المتراكبة، ونجد أن جوهر الإشكالية التي يدور الناقد حولها تتخطى مشكلة التنازع النقدي صوب إشكالات أعمق تخوض في تنازع معرفي يزيح الحجب والحدود بين مختلف أشكال إنتاج المعرفة ويفقد كل متن معرفي سائد خصوصيته وآليات إنتاجه ليصبح النص ونقد النص إشكالية وجودية مهومة تتوسل النظر الفلسفي وربما الميتافيزيقي منه وصولا إلى مناطق الحيرة في السؤال الفلسفي والميتافيزيقي تلك التي أرهقت بغموضها العلوم الطبيعية والإنسانية والعلوم الصرفة، بما يحمل النقد مهام غيره من فروع المعرفة والبحث وينتج تشويشا مضاعفا يطال النصين معا: النص الإبداعي والنص النقدي.

- **اعترافات جورج باركر ومخاطر إشكالية المثقف الإشكالي**

قبل البحث في إشكالية الناقد صادق ناصر الصكر، وخاصة في كتابه "اعترافات جورج باركر "[٣٢]، فقد حدّد الناقد دراسته الثقافية بـ "أن الهدف من هذا الكتاب كان محدداً، وهو دراسة تجربة علي بدر (بعد أن كتب أكثر من عشر روايات) في دوافعها الثقافية..."[٣٣]، وقد قصد بذلك البحث عن الموجهّات والمضمرات في روايات علي بدر، مع استبعاد مقصود لأي شيء آخر يرتبط بالرواية بوصفها فناً يستمد القوة والقدرة على التأثير من حيوية المتغّير الأدبي و تمظهراته الجمالية [٣٤]، وتحديد وجهة نصوص علي بدر "داخل الفضاء الثقافي"[٣٥]، وذلك لأن علي بدر نفسه يميل إلى الثقافي أكثر من انجذابه إلى الجمالي [٣٦] ومن هذا المنطلق، اتخذ الصكر من (الفضاء الثقافي) لعلي بدر إشكالية ثقافية ذات طبيعة معرفية، بعد أن اكتشف أن إشكالية علي بدر كتمثيله للمرأة مثلاً " شاهد إثبات على التزوير الثقافي " و ينسحب هذا التزوير على سائر عمليات البحث عن مواقع رواياته على خارطة الثقافة العراقية، وربما تكون تلك

إشكالية خطيرة تمس الانتلجنسيا العراقية، ويندرج على بدر في مقدمتها، بوصفه أنموذجا لمثقف نافر من فكرة الهوية وضد المصالحة حتى مع ذاتها، بل هو معاد في تصوراته الثقافية للهويات، إذ إنّها تقوم بتكريس فكرة ملفقة عن طبيعة الهجنة (الهووية) لأنها "تغترف من خزانات التحليل السردي أكثر مما تأخذ من التاريخ" (٣٧).

وبإزاء هذه الإشكالية، لابد من تجاوز (الحياد) أو(التحيز) في ما إذا كانت الهوية التي هجنها علي بدر هي كذلك أم لا؟ لهذا فإن هدفنا هو تحديد جوهر هذه الإشكالية (أو كيف تمركزها)، بعد أن وضع صادق الصكر علي بدر في مساءلة ثقافية مفتوحة على مشكلات عدة.

لقد تنبه صادق الصكر إلى النزعة (التحقيرية) لعلي بدر للمثقف العراقي داخل رواياته، وكيف اتخذ منها أنموذجاً لتعميمها، وهي بذلك إشكالية مثقف نقدي قبل أن تكون جزءاَ من إشكالية الانتلجنسيا العراقية التي يدفع بها علي بدر إلى الحضيض، وكرد فعل (انتجلنستي) يقوم الصكر بتصحيح هذه المغالطة القصدية للذات والهوية العراقية، ولكن بطريقة السرد المضاد للسرد الروائي؛ أي السرد الثقافي الذي يقوم بتفويض الأساس التحتاني لمتخّيل علي بدر الروائي، وصولا إلى تحطيم البنية الرأسية لثقافة الكراهية أو ما يسمى بـ (فن تغذية هذه الكراهية)، نحن إذا بإزاء وعي نقدي ثقافي (حاد)، يتخطى الوعي الروائي من دون المساس به، فالناقد الصكر يكتفي بالتركيز على (دوافع) علي بدر الناتجة عن تصوراته المتخيلة المتأثرة بـ (الجماعات المتخيلّة) لهومي بابا، والتمركز فيها وعليها كمنطلق وليس غاية.

وكان بإمكان الناقد (وهذا ليس نقداً للنقد بقدر ما هو تشريح لنقده الثقافي) أن يقوم بتفكيك روائية الثقافي وليس ثقافية الروائي، إذ ليس بالضرورة أن يكون المثقف روائيا، ولكن بالضرورة يكون الروائي مثقفا، وتلك إشكالية جديدة تقود إليها إشكالية الصكر.

لهذا لم نشأ البحث في إشكالية الناقد الصكر كما ينظر إليها من خلال روايات علي بدر، والحضور المركزي لشخصية "البطل النرجسي والمغرم بنفسه إلى مستوى

الهوس" [٣٨]، وإنما نريد أن نفهم إشكالية "سياسة الكتابة " عند علي بدر في رواياته، وخاصة " انتحال الهويات" [٣٩]، و (سقوط المثقف العراقي) في هذه الروايات، الأمر الذي يجعل هذه الإشكالية خطيرة للغاية، ومنشأ هذه الخطورة ومكمنها (تزوير الهويات وتلفيقها)، ومن ثم تعميم الأوهام الثقافية وتجذيرها.

ولكن ما يجعل الناقد الصكر جزءا من هذه الإشكالية، إنه كان ينظر إلى مسوغات علي بدر للهويات، وبضمنها (الهوية العراقية) والانتجلنسيا كذلك، من منظور ثقافي يتجاوز ما يسميه الناقد العراقي عباس عبد جاسم والناقد السعودي محمد العباس بـ (جماليات القبح والفحش والبذيء) [٤٠]، لهذا نرى أنّ جماليات القبح والبذيء هي المدخل ألاستشكالي إلى مسخ الهويات وتشويهها بقصد ومقصدية، صحيح أنّ البطل المركزي لروايات علي بدر (نرسيسي / طفيلي / مغرم بنفسه)[٤١]، وبذا من الطبيعي أن تكون (دوافعه الثقافية) التي نبشها الصكر نتاج أزمة الروائي نفسه بفعل ما يعانيه من غربة وشتات وضياع، وهذا ما لم يقله الناقد الصكر في مهاد ثقافي، وإنما اكتفى بمعاينة (النرسيسي/الطفيلي) معاينة سريرية من دون تشخيص أمراض المثقف العراقي الذي غالباً ما يعاني من فصام شخصي – ثقافي أو يعاني من الشعور بمركب القهر الثقافي كما يرى.

وإلا ما الذي دفع روائيا عراقيا إلى أن يقول في مهاد صريح "إن الشعب العراقي عبر كامل تأريخه كان قطيعا من الرعاع"[٤٢]، وإن كانت هذه المقولة تنطلق من منظور شوفيني – فما الدافع إلى ذلك؟ أهي جزء من إشكالية (خيانة المثقفين)؟

كما أنّ(اللا مسمى الذي لا اسم له) الذي ينعته علي بدر بـ "الغريب / الساحر / المغرم بنفسه" [٤٣]، هو في منظورنا جزء من " اللا هوية" في روايات علي بدر أو ما نصطلح عليها بـ (الفصامية الهووية) بوصفها جوهر الإشكالية التي تنفك إلى مشكلات عدة، وفي مقدمتها مشكلة انتماء الذات لذاتها وليس لكينونتها، ولهذا فهي ليست مشكلة ناقد ثقافي وإنما هي مشكلة مثقف روائي عثر على ضالته المنشودة في " المقولات المحورية للفلسفات المناوئة للهوية، إضافة إلى الاشتغالات الما بعد كولونيالية الملصقة بها "، وذلك بناءً على تصور علي بدر بأن الهوية مفهوم روائي مراوغ!!

في نظرة تحليلية مركزة لقراءة الناقد الصكر للمتن الروائي لعلي بدر نكتشف حجم الإشكالية المتعلقة بهذه القراءة من خلال تنازع موجهات عدة هيمنت على رؤية الناقد للمنقود، موجهات تكمن مفارقتها في أنها تستل من المتن الروائي ثيمة واحدة، ثيمة انمساخ الهوية، وهي ثيمة انثربولوجية سياسية، أفرزت هذا التنازع بين الأدبي الجمالي والاجتماعي التاريخي، وفي الحقيقة لا يمكن عد هذه القراءة ضمن منهج النقد الثقافي لاقتصارها على شخصية منفردة داخل النص بحيث إنها لا يمكن تعميمها على مجمل الخطاب الروائي لعلي بدر، وهي تقع في باب شخصية (النموذج)، ضمن شخصيات ونماذج متباينة كما تقتضي آليات البناء الروائي، ويبدو التنازع جليا في تعدد طبقات القراءة بين المنهج الثقافي والأيدلوجي الواقعي والانتقائي الانطباعي ويبدو جليا اغتراب المصطلح في متن النقد وفقا لهذه التشابكات، من خلال هذين النموذجين النقديين يمكن استشراف بعض ما تفرزه إشكالية التنازع من آثار على العملين الإبداعي والنقدي الصرف، ومن كل ما تقدم فإن مسألة تنازع المناهج النقدية وطبقا للاتجاهات النقدية التي اجتهدنا في توصيفها ستظل مربكة للدارس الذي يسعى إلى وضع تأريخ نقدي؛ لما يسببه هذا التنازع من تداخل يصل حد الاشتباك بين المناهج النقدية السائدة وسوف نرى أن مسألة تجاوز المناهج كما تطرحها النماذج التي اخترناها كموضوع للدراسة سيدخلنا في إشكالات بنيوية عميقة تمس فلسفة النقد وغاياته وأخلاقياته التي رسخت بفعل التراكم النظري والتطبيقي التي راعت الإبقاء عليه بوصفه نوعا إبداعيا يتنامى بفعل الاضافة البناءة فالنقد "حرفة وتوجه رؤيوي أو موقف من العالم متضمنا في الموقف من النصوص وقراءتها. هكذا يفترض أن يكون لكنه ليس دائما كذلك، فهناك من كتبوا نقدا ولم يكونوا محترفي النقد بل لهم رؤية حول الأدب، بل أن مفهوم النقد ومن ثم الناقد مفهوم مركب، فالناقد الأكاديمي غير الناقد الصحفي، والناقد الهاوي غير المحترف، وهكذا، فليس من صفة جامعة حين نتحدث عمن يكتب نقدا سواء لدينا أم في الثقافات الأخرى، لكني لا أرى في ساحاتنا الكثير من النقاد المحترفين بالمعنى الموجود في الغرب مثلا، أي النقاد الذين يشغلهم النقد بوصفه حرفة أساسية" (٤٤)، ومن سياق الاستهلال والنموذج المطروح نكاد نضع اليد على جملة من الإشكالات

التي تعتور مسار النقد الحديث بمختلف مساراته ويمكن إيجازها بمجموعة نقاط تشكل مداخل لدراسات مفصلة يمكن أن تعالج المأزق النقدي بوجهيه التنظيري والتطبيقي:

١. اختلاط الرؤى بما يتعلق باستخدامات المصطلح الوافد عن طريق الترجمة إلى الحد الذي تضطرب معه المناهج لتداخل الدلالات تارة وتشظيها تارة أخرى مما يضعف من قوة المتن النقدي لسقوطه بين مناهج عدة واضطرابه بين نظريات قد تكون متخالفة بعض الأحيان وهو أمر يفقد الدراسات النقدية معياريتها التي هي أساس كل رصانة نقدية.

٢. محاولة إلباس المتن النقدي الكلاسيكي العربي لبوس النظريات الغربية الحديثة بطرق اعتسافية لا تتوخى الدقة أحيانا مما يضيع قيمة المدلولين (العربي الأساسي والغربي المترجم).

٣. شيوع حالات من الاعتباط في توليد المصطلحات النقدية الحديثة لدى بعض المشتغلين بنقد الحداثة وما بعدها تحت تأثير (غواية) نحت المصطلح مما يشيع نوعا مما يمكن تسميته بالعدمية النقدية ويعود ذلك لغياب مرجعية عربية موحدة تتكفل بتوحيد المصطلحات المترجمة كما كان سائدا في فترات سابقة يوم كانت المجامع العلمية اللغوية العربية مسؤولة عن إقرار هذه المصطلحات المترجمة ثم لم تلبث وسائل الاتصال الحديثة أن قوضت هذا الجهد بسبب تعدد جهات النقل والتعريب من دون ضابط مؤسساتي.

٤. تعدد وسائل نشر الخطاب النقدي من دون معايير الرصانة والتحكيم العلمي التي كانت سائدة ما أدى إلى تراكم خطابات نقدية عائمة أبهظت من قيمة المنجزات النقدية الرصينة وفقا للمفهوم الاقتصادي الشائع من أن البضاعة الرديئة تطرد البضاعة الجيدة، فضلا عن ما تشيعه من منحوتات لغوية اعتباطية تصبح بفعل التكرار والرثاثة من مكونات المتن النقدي السائد على الرغم من ضبابيتها واعتباطيتها.

الخاتمــة

إنّ غايــة الدراســة هــي محاولــة فــض الاشــتباك الحاصــل بــين المنــاهج النقديــة ومصــطلحاتها الفنيــة الخاصــة ســعيا للتفريــق بــين مفهــوم التنــازع ومفهــوم بــديل آخــر يمكــن تســميته بمفهــوم الــتلاقح البنــاء بــين المنــاهج المختلفــة شــأن الــتلاقح الــذي ينشــأ أحيانــا بــين الأنــواع الأدبيــة، فالتنــازع والــتلاقح مفهومــان مختلفــان، قــد تحيــل دلالــة المفهــوم الأول إلــى الفوضــى النقديــة كمــا أســلفنا فــي حــين تحيــل دلالــة المفهــوم الثــاني إلــى تضــمين مــنهج نقــدي معــين بمــا يزيــد متانتــه مــن مصــطلحات وثيمــات منــاهج نقديــة أخــرى مــن دون اعتســاف أو تمويــه، فالتنــازع دلالــة الفوضــى التــي تشــتغل علــى العكــس مــن الغايــات النقديــة ومقولاتــه الأساســية فــي حــين ان الــتلاقح يعنــي ترصــين النقــد المنهجي بما يقويه ويزيد متانته اعتمادا على ما يلائمه في المناهج الأخرى.

Abstract

Iraqi Criticism / Problematic Procedures and Conflect of Trends

Dr. Wasan Abdul Munaim Yassin

University of Diyala

College of Education for Humanities

Keywords: Iraqi criticism, of procedure, conflict of directions.

The transformation of knowledge and Society changes have created effective and active factors in liberating criticism from dependency of literature phenomena to produce inner laws for being dynamic. These changes and transformations were accompanied with it the theory and problematic issues and proceduresled to conflict trends on the way how to construct the Iraqi criticism identity. At beginning of these problematic issues is: theory, curriculum, and terminology.

This research aims to analyze(problematic issues and procedures) including the interactions between human sciences and natural sciences and to change from one curriculum to another or to combining between them successfully, especially on a level of curriculum adaptation and settlement oftheory through the follow of descriptive analytical curriculum for accomplished examined criticism.

الهوامش

([1]) محمد عابد الجابري، نحن والتراث: 29.

([2]) م. ن.الصفحة نفسها.

([3]) م. ن. ٣٠.

([4]) المصدر السابق: ٣٠.

([5]) ألان تورين، نقد الحداثة، ترجمة، أنور مغيث: ٢٣.

([6]) د. أشرف حسن منصور، أستاذ الفلسفة بجامعة الإسكندرية، موقع الكاتب على الانترنت.

([7])عواد علي، النقد الثقافي والأيدلوجيا،صحيفة العرب اللندنية،الأحد ١/٢٨/ ٢٠١٨م.

([8])د. سعد البازعي، حوار أكابر الأحمدي جريدة اليوم ع٣، الجسر الثقافي، ٣/ ١٠/٢٠١٥م.

([9]) عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة: ٥٦.

([10]) عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة: ١٣.

([11]) أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم: ٣٧٦.

([12])التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج١: ١وينظر: في المصطلح النقدي، أحمد مطلوب: ٧.

([13]) ينظر: عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد: ١٤١-١٤٢.

([14])عباس عبد جاسم، جماليات الخروج على سلطة النموذج: ٥.

([15]) ينظر: المصدر السابق نفسه: ١٤٧.

([16]) عباس عبد جاسم، قضايا القصة العراقية المعاصرة: ١١.

([17])عباس عبد جاسم، مشكال التأويل العربي الإسلامي: ٩٦، هامش رقم -١-.

([18]) عباس عبد جاسم، مشكال التأويل العربي الإسلامي: ١٤.

([19]) عباس عبد جاسم، مشكال التأويل العربي: ١٤.

([20])المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

([21]) المصدر نفسه: ١٥.

([22]) محمد عابد الجابري: ٢٨.

([23])عباس عبد جاسم، مشكال التأويل العربي: ١٥.

([24]) المصدر نفسه: ٦٧.

([25]) المصدر نفسه: ٦٣.

([26])عباس عبد جاسم، ما وراء السرد – ما وراء الرواية- صفحة الغلاف.ونشرت المقالة في جريدة الأديب الثقافية، ع١٠٤، في ٢٥ كانون ٢٠٠٦م.س.

([27])عباس عبد جاسم، النظرية العابرة للتخصصات: ٨.

([28]) المصدر نفسه: ١١.

([٢٩]) المصدر نفسه: ١٤.

([٣٠]) ينظر: آلان تورين، نحو براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، مراجعة سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، ١٣. وتوماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة –الكويت، ١٩٩٢م.

([٣١]) المصدر نفسه: ٤٩ – ٥٠.

([٣٢]) جورج باركر هو صحفي وكالة الصحافة الاجنبية في نيويورك، وقد أرسلته هذه الوكالة الى اديس بابا في أثيوبيا، لكتابة تقرير عن مثقفين شيوعيين فارين من بغداد. صادق الصكر، اعترافات جورج باركر . تجربة علي بدر.

([٣٣]) المصدر نفسه: ٩.

([٣٤])المصدر نفسه: ١٠.

([٣٥])المصدر نفسه: ١١.

([٣٦])المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

([٣٧])المصدر نفسه: ١٤.

([٣٨]) المصدر نفسه: ١٤.

([٣٩])المصدر نفسه: ١٥٦.

([٤٠]) عباس عبد جاسم، الطلوع وسط انهيار اليقينيات، قصيدة النثر ما بعد مرحلة الرواد: ١.وينظر أيضا، جماليات الفحش، اللفظ البذيء والعامي تحت ضوء باحثيني، الموقع الشخصي لـ (محمد العباس) مقالات على الانترنت.

([٤١]) صادق الصكر:المصدر السابق: ١٤٤.

([٤٢]) صادق الصكر، اعترافات جورج باركر: ١٦٧.

([٤٣]) صادق الصكر، المصدر السابق: ١٤٤– ١٤٦.

([٤٤]) د. سعد البازعي، حوار أكابر الأحمدي،جريدة اليوم ع٣، الجسر الثقافي، ٣/١٠م٢٠١٥م.

المصادر والمراجع

- أحمد مطلوب، في المصطلح النقدي، منشورات المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٢م.
- أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، ناشرون ط١، ٢٠٠١م.
- أشرف حسن منصور، أستاذ الفلسفة بجامعة الإسكندرية، موقع الكاتب على الانترنت.
- ألان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة (المصري) بشراكة مع المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٧م.

- ألآن تورين، نحو براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، مراجعة سميرة ريشا المنظمة العربية للترجمة، ط١، بيروت، نيسان (أبريل) ٢٠١١م.
- توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة –الكويت، ١٩٩٢م.
- د. سعد البازعي، حوار أكابر الأحمدي، جريدة اليوم ع٣، الجسر الثقافي، ٢٠١٥/١٠/٣م
- صادق ناصر الصكر، اعترافات جورج باركر، تجربة علي بدر، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٥م.
- عباس عبد جاسم، جماليات الخروج على سلطة النموذج، دار الحوار للنشر والطباعة والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠١٤م.
- عباس عبد جاسم، الطلوع وسط انهيار اليقينيات– قصيدة النثر ما بعد مرحلة الرواد، نقد، دار مومنت– لندن، ط١، ٢٠١٤م.
- عباس عبد جاسم، قضايا القصة العراقية، وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد،ط١٩٨٢،١م.
- عباس عبد جاسم، ما وراء السرد – ما وراء الرواية، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق – بغداد، ط١، ٢٠٠٥م.
- عباس عبد جاسم، مشكال التأويل العربي، (أواليات التأويل واوالاته المعرفية) بيت الحكمة، بغداد،ط١، ٢٠٠٥م.
- عباس عبد جاسم، النظرية العابرة للتخصصات(تحولات النقد العربي المعاصر)، دار أزمنة للنشر، ط١، ٢٠١٦م.
- عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية الى التفكيكية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د. ط، ١٩٩٨م.

- عواد علي، النقد الثقافي والأيدلوجيا، صحيفة العرب اللندنية، الأحد ٢٨/ ١/ ٢٠١٨م.
- فائز الشرع، جريدة الأديب الثقافية، ع١٠٤، في ٢٥ كانون ٢٠٠٥م.
- د. محمد عابد الجابري، نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- محمد العباس، جماليات الفحش، اللفظ البذيء والعامي تحت ضوء باحثيني، الموقع الشخصي لـ (محمد العباس) مقالات على الانترنت.